جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

الفن المعاصر على محك العلوم الاجتماعية
-تجربة الفنان "جاف كونز" أنموذجاً-

وسام عبد المولى

أستاذ مساعد
قسم التربية الفنية
كلية التربية
جامعة السلطان قابوس
wissem@squ.edu.om

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفن المعاصر على محك العلوم الاجتماعية
-تجربة الفنان "جاف كونز" أنموذجاً-

وسام عبد المولى

الملخص

تهدف الدراسة الحالية إلى توضيح تداخل الفنون البصرية والعلوم الاجتماعية المعاصرة على اختلافها، وإعادة قراءة العمل الفني، على نحو يبرز فيه التفاعل العميق للمتلقي مع موضوع العمل الفني، لتأسيس بعض المفاهيم الفنية وإسهامها في تغيير وبناء ثقافة بصرية جديدة للمجتمع. كما يسعى البحث إلى إبراز أهمية الفن المعاصر اليوم بوصفه أحد ميادين العلوم التي تحاور العديد من المجالات الأخرى. والنظر في فكرة تجاوز الحدود بين مختلف الفنون وانفتاحها على بعضها بعضاً، أي التأكيد على تجاوز النمط الفني الواحد الذي كان يتداول بالاعتماد على وحدة الاختصاص، أي نفي فكرة التشارك بين فن وفن آخر، أو حتى وضعه على محك العلوم الاجتماعية. وتركز الدراسة على تجربة الفنان "جاف كونز" بوصفها أنموذجاً للعلاقة التكاملية بين الممارسة التشكيلية المرتبطة بعديد المجالات الأخرى، التي من أهمها العلوم الاجتماعية.

كلمات مفتاحية: العلوم البينية، الفن المعاصر، الأثر الفني، الفنان جاف كونز.

Contemporary Art on the Touchstone of Social Sciences: The Experience of the Artist Jeff Koons as a Model

Wisam Abdulmawla

Abstract

The current research aims to clarify the overlap of visual arts and contemporary different social sciences. It also aims to re-read the art work in a way to highlight the deep interaction of the recipient with the theme of the artwork in order to establish some art concepts which contribute to change and build a new visual culture for the society. This research also seeks to highlight the importance of today's contemporary art as one of the fields of science. It dialogues many other areas and intersects with a lot of different sciences including the social sciences as a model for intermediary sciences. It shows the overlap between visual arts and different contemporary social sciences. It seeks, moreover, to re-read the artwork so as to highlight the deep interaction of the recipient with the society's visual culture.

The study tries to consider the idea of crossing borders between the various arts by opening onto each other. In other words, it wishes to emphasize the unique artistic pattern which had been considered to be confined within a unit of specialty with no partnership between one art and another or connection to the social sciences can transcend these borders. The research focuses on the experience of the artist Jeff Koons as a model of the complementary relationship between the practice of fine arts associated with many other fields of specialty, most importantly the social sciences. The research focuses on the experience of the artist as a model for the relationship of complementarily between fine practice and numerous other areas, notably the social sciences.

Keywords: Intermediary Sciences, Contemporary Art, Artistic Work, Artist Jeff Koons.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة

إذا ما حاولنا التذكير بمفهوم الفن، فيمكن القول إنه عمل إنساني، أو إنتاج إنساني أصيل، في (مقامه، صاحبه، تاريخه، زمنه)، ولا يمكن أن يعد مكرراً، وهو وحيد. وهو يختلف عن منتوجات التصميم، ويكمن الاختلاف أيضاً حتى في الاستعمال. أما الفرق بين الفنان والمصمم والحرفي، فإنما يكون بارزاً في النقاط التالية:

- الفنان: يحول المادة الخام من شكل إلى شكل آخر، وينتج عملاً يتسم بالجمالية.
- المصمم: ينتج منتجاً وظيفياً وجمالياً، ديكوراً، أثاثاً... الخ، وهو يشترك مع الفنان في أن منتجه جمالي.
- الحرفي: يكرر ويعيد إنتاج منتج سابق، ويمكن أن يكون عمله جميلاً ووظيفياً. ويلتقي المصمم مع الفنان في إنتاج الفكرة الجديدة، فيكون الفنان بذلك هو الإنسان الحر الذي يمتلك التفكير الإبداعي عن فكرته الأصلية، التي تكون مستحدثه متميزة فريدة، في فترة زمنية ومكان محددين، وهو يستعمل مادة يمكن أن تكون ملموسة، أو تحمل أبعاداً مختلفة. إننا نذكر بذلك حتى نحاول التأكيد في بحثنا لاحقا على أن الفنان "جاف كونز" قد أسهم في تغيير مفهوم الفنان المعاصر وتطويره، ولعل ذلك يتطلب منا التساؤل عن منهجية قراءة العمل الفني المعاصر، وأريد أن أذكر بأن مناهج قراءة الأعمال الفنية تتعدد بتعدد المداخل والغايات المنشودة منها، التي تبقى في جل حالاتها مجرد مقاربات. فما بالنا ونحن نهتم بدراسة موضوع "الفن المعاصر على محك العلوم الاجتماعية: تجربة الفنان" جاف كونز -أنموذجا-.

أهداف الدراسة

- ترمي الدراسة الحالية إلى تحقيق هدفين يتمثلان في الآتي بيانُه: التأكيد على قيمة استمرارية العلاقة التبادلية بين الفنون التشكيلية والمجتمع.
- إبراز الدور الذي تؤديه أعمال "جاف كونز" الفنية في نشر ثقافة تشكيلية منفتحة على المجتمع بوصفها أحد أهم الركائز المرتبطة بعديد المجالات الأخرى التي من أهمها العلوم الاجتماعية.

إشكالية الدراسة

تتلخص إشكالية الدراسة في النقطتين التاليتين: كيف تداخلت الممارسة الفنية المعاصرة مع مجالات العلوم الأخرى؟
كيف استطاع الفنان "جاف كونز" استحداث ممارسة يغلب عليها التداخل والتفاعل مع ميادين العلوم الاجتماعية الأخرى؟

سؤال الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى الإجابة عن السؤال الرئيس الذي يتمثل فيما يأتي:
هل يمكن اعتبار الممارسة الفنية للفنان "جاف كونز" تجربة معاصرة تؤسس لعلاقة جدل مع مجالات أخرى يبرز من خلالها الفن المعاصر منصهراً في العلوم الاجتماعية؟

فروض الدراسة

- الفن المعاصر يتجاوز التجربة الفنية البحتة في سبيل الوصول إلى أهداف عميقة تتشابك على نحو وثيق مع رؤى اجتماعية.
- تعد تجربة الفنان "كونز" أنموذجا لعلاقة تكاملية بين الممارسة التشكيلية والانفتاح على تقنيات شتى مرتبطة بالتقدم الاجتماعي.

عينة الدراسة

تُلقي الدراسة الضوء على تجربة الفنان "جاف كونز" بوصفها إحدى أهم التجارب التشكيلية من الناحية التقنية والتعبيرية والمادية، لإبراز المعنى الإبداعي المتفرد الذي يبتكره الفعل التشكيلي للفنان "جاف كونز"، وذلك من خلال توظيف قيم تعبيرية مختلفة، ومعايير جديدة، من نحو استحداث ممارسة فنية يغلب عليها التداخل والتفاعل والتمازج والعلاقات المتبادلة بين مختلف التقنيات، والمحامل، والخامات، والأجناس الفنية: كل ذلك لإبراز قيمة العديد من المجالات الفنية، وفق الفكرة التي ينبني عليها العمل الفني.

المبحث الأول: أثر التداخل بين الفنون التشكيلية والعلوم والفنون الأخرى

إذا ما حاولنا التمعن في العلاقة التواصلية التي بُنيت -تاريخياً منذ فترة طويلة- بين الفن والطب، علمنا أنها علاقة وثيقة، وهي -تحديداً- العلاقة بين الفن، وعلم التشريح. وهذا التزاوج الرائع يعد طبيعياً ونفعياً. أليس الطب في تعريفه الأول هو تلك المهارة التي يحكمها الذوق والموهبة؟ أوليس هو أيضاً التطبيق العلمي للنظريات العلمية؟ أما الفن، فيعرف على أنه جملة من القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة، والوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف خاصة عاطفة الجمال كما في التصوير والشعر والموسيقى.

وهذا التحديد ليس وقفاً على اللغة العربية، فكلمة (Arts) بالأجنبية تعني المهارة، وتعني العلم والفن أيضاً. وفي القرون الوسطى ظهرت مجموعة من الكتب تحمل عنوان (Art of medicine)، التي يمكن ترجمتها: علم الطب، أو فن الطب. وتلخص أغلب التعاريف المعجمية أيضاً إلى أن الطب يعني الحذق، والمهارة، وهو مجموعة الوسائل المعتمدة في علاج النفس، والجسم، وهو الرفق، وحسن الاحتيال، والسحر، ومرد ذلك إلى كون الطب بدأ ممزوجاً بالسحر، ولا يزال الساحر في المجتمعات البدائية هو طبيب القبيلة. ولغوياً يعرف الطبيب على أنه الحاذق والماهر الذي يتلقى العلم والفن، وينهض الطب على عدد من الفنون، أو العلوم، منها علم التشريح، وفن علم الجراحة. ويمكن أن نشير إلى إسهامات "ليوناردو دافنشي" في التشريح التي كانت تبرز أن أعماله كانت فعلاً مضيفة إلى العلوم الإنسانية والصحيحة بغزارة، سواء في فن التشريح بالرسم، أو بالتحليل، أي رسم مختلف أعضاء الجسم وتشريحها. ومكتبة ميلانو في إيطاليا تزخر بآلاف المنسوخات والرسوم التوضيحية والتحليلية. ويمكن أن نقر بالوظيفة الاجتماعية الخاصة بالفن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي تكمن في كونه شكلاً لوعي الناس، يكشف داخله التجربة الروحية المتنوعة، التي تتراكم عبر مسيرة العلاقات الإنسانية الحية نفسها، المتبادلة مع العالم. لذا، فإن إشكالية البحث الموسوم ب"الفن المعاصر على محك العلوم الاجتماعية" تجربة الفنان "جاف كونز" -أنموذجا- تدعونا إلى النظر في كلمة "البينية" (Interdisciplinary) التي تتكون من مقطعين أساسيين، مقطع (Inter) ، وتعني (بين)، وكلمة (نظام) (Discipline) ، وتعني مجالاً دراسياً معيناً، ومن هذا المنطلق فقد تم تعريف الدراسات البينية من قبل "ويليام كالين" على أنها دراسات تعتمد على حقلين أو أكثر من حقول المعرفة الرائدة، أو العملية التي يتم بموجبها الإجابة عن بعض الأسئلة، أو حل بعض المشاكل، أو معالجة موضوع واسع جداً يصعب التعامل معه ،أو معقد جداً. وقد قال (بن عبد المنعم، ٢٠٠٦: ١-١) : "ثورة المعلوماتية والعولمة فرضت على العالم المعاصر متغيرات وتوجهات عديدة، من أهمها ضرورة الاهتمام بوحدة المعرفة لمواجهة المشكلات والتحديات، بشكل أوجد ضرورة لتطوير نظم التعليم على مستوياته ومراحله كافة، لتحقيق وحدة المعرفة والاقتصاد فيها، بإحداث المزج والتكامل بين التخصصات، وهو ما أطلق عليه مدخل التخصصات أو الدراسات البينية" Interdisciplinary وعندما نتأمل أهم محطات تاريخ الفن، يظهر لنا من الوهلة الأولى أن الأشكال الفنية باختلاف محاملها، وتقنياتها وصورها ومعانيها تدور حول نشاط تعبيري. وهذا النشاط الإنساني التعبيري قد تغير وتطور في اتجاه البحث عن ثنايا جديدة، وفق ما يمكن أن يستجد في المجتمع الذي يولد فيه، ونحن نعلم اليوم أن الفن المعاصر على سبيل المثال قد انفتح على كل المرجعيات، والمضامين، والعلوم والمواد، وحتى الوسائط التكنولوجية الحديثة، وعلى البرمجيات الرقمية التي أصبح بإمكانها إنتاج أشكال، ومواضيع مختلفة، ومتباينة، وغريبة أحياناً، وكأننا أمام خطاب تشكيلي غير مألوف. في كل تلك المراحل التاريخية كان العمل الفني يتأسس على الصورة وخطابها. وما تنتجه تلك الصورة الفنية، إنما هو العلاقة التي يريد الفنان إثباتها، لتصبح الصورة في علاقة حميمية معه. و لقد جاء في مقدمة كتاب "الصورة: المكونات والتأويل"، الذي ترجم إلى العربية (غيي غوتيي، ٢٠١٢: ٢٣-٣٣) : "تندرج الصورة وإنتاجها وأنماط تلقيها ضمن سلسلة من البداهات التي غالباً ما يحتكم إليها الحس السليم، من أجل تحديد حالات التطابق، أو التشابه بينها وبين ما تقوم بتمثيله. فهي في العرف جزء من طبيعة المعطى الموضوعي، التواق إلى وجود مضاف يقي الأشياء والكائنات شر الدهر وصروفه. فالصورة -ضمن هذه البداهات أيضاً- هي استعادة لجزئية من فضاء ممتد إلى ما لا نهاية، وفق معايير تلغي الزمان، باعتباره مدى محسوساً، أو تعاقباً في كل شيء، فكل صورة هي في الأصل نفي للزمن من حيث هي تأبيد للحظة. "ونذكر أنه في الفترة الأخيرة، أي ما بعد الحداثة، قد تم غالبا التركيز على لغة فنية واحدة، تقليدية كانت، أو حديثة، أي تلك التي تعتمد على الاختصاص الواضح والمستقل. تقول الناقدة ناتالي إينيتش (إينيتش، ٢٠٠٧: ١٢٤-١٢٥): "الفعل الفني لم يعد في صناعة الأثر، ولكنه في إعطاء العمل الفني معنى ومفهوماً. فأعمال الفن المعاصر اليوم شديدة الارتباط بالفكرة والمفهوم والموضوع، إذ إننا اليوم في عملية تلقينا بصرياً لمجموعة من الأعمال الفنية، نلاحظ تشابهاً كبيراً في مختلف أجزائها وتركيبتها، ويبقى أهم شيء نبحث عنه في العمل الفني هو تعبيريته التي تعد ذاتية ومتفردة. ولعلنا نفهم من ذلك أن القيم التعبيرية تتغير في كل زمن، بما في ذلك المعايير التي في كل مرة تتغير، لتقطع الصلة مع ما سبقها مما كان سائداً في الماضي، وذلك لفتح المجال نحو أفق فنية جديدة. أما النشاط الفني المجدد والمبتكر، فمنه ذاك الذي نراه يتمرد حتى على أهم النظم التي تسود المجتمع والثقافة. وما يهمنا هو الحديث عن الصورة الفنية التي تعتمد على التداخل والتلاقح والتفاعل والتمازج والتوافق والتعالق بين أنماط، وأجناس، ومواد،ومحامل، وتقنيات مختلفة. والكل ينصهر في معنى جديد بحسب الفكرة الفنية التي يبنيها الفنان. ونلاحظ في ذلك إلتقاء تعابير متعددة، تكون غايتها بلوغ أقصى درجات التشكيل نحو التأثير في المتلقي. وما تجدر الإشارة إليه اليوم هو أن الفن المعاصر قد ذهب إلى أقصى الحدود. وتذهب أغلب الممارسات الفنية إلى العمل على ذوبان الفوارق، وانطفاء الحدود بين الأشكال والتقنيات والمضامين الفنية في التعبير عن نوعية العلاقة الجديدة القائمة بين المشاهد، والعمل الفني.

المبحث الثاني: تجربة "جاف كونز" الفنية أنموذجاً للعلاقة التكاملية

"جاف كونز" من مواليد (٢١ يناير ١٩٥٥) بسيلفاني، بنيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، درس بمعهد (ماريلاند) بكلية الفنون بليتمور، ومنذ سنة ١٩٧٦ استقر بنيويورك. وقد كان في بداياته مزوداً للمواد الخام في وال ستريت. أما أعماله الفنية، فكان يقوم بها في ورشة بشالسيا بالقرب من نيويورك، و يساعده في ذلك أكثر من ١٠٠ فني. واللافت للانتباه هو أن "جاف كونز" لا يعمل بنفسه، لا يرسم ولا ينحت ولا يعجن الطين ولا يحفر الخشب أو الزنك، إنما هو ينتج أفكاراً، وفي المقابل يعمل فنيون وتقنيون ومصممون محترفون على تصميم أفكاره وإنتاج أعماله الفنية.

أما المرجعيات البصرية للفنان، فهي عبارة عن موسوعة كبيرة للثقافة الشعبية، وهي ليست ذات مرجعية أمريكية فحسب، بل تتعداها إلى حدود العالمية. "جاف كونز" يعتمد أشياء بسيطة يحاول من خلالها فهم السؤال عن المنتوجات الاستهلاكية، وكيفية جعلها تصبح ذات وجاهة، وقيمة هامة. أما إذا حاولنا النظر في أعماله الفنية المتنوعة، فإنه سيبدو واضحا للعيان أن الفنان كان في بداية مسيرته يستعمل شتى أنواع نصوص الإعلانات الإشهارية، فالمكنسة الكهربائية، ومختلف آلات المطبخ يضعها في صناديق شفافة من البلاكسيغلاس مضيئة بالنيون الملون. وبعد ذلك يعمد إلى إنتاج مجموعة هائلة من الكرات الرياضة، فكرة السلة -في وضعيات متدرجة- كان يضعها في أحواض مائية (استعان في ذلك بعالم الفيزياء الدكتور فايمان المتحصل على جائزة نوبل للفيزياء)، بالإضافة إلى المجسمات الصغيرة، وهي عبارة عن هدايا للذكرى في المحلات السياحية (أرنب منفوخ، خرفان وخنازير، مايكل جاكسون بالبورسولان). وأخيراً يستعمل مجموعة من ألعاب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأطفال وأشياء أخرى مرتبطة مباشرة بالطفولة.

يعد العديد من النقاد "جاف كونز" من أبرز الفنانين الذين توصلوا إلى انتقاء أهم النقاط المميزة للحركات التحديثية (Avant-gardiste) للقرن العشرين، ومن أهمها فن البوب، بما أنه استطاع -تشكيلياً- أن يضفي قيمة فنية وبصرية على الأشياء البديهية، والمبتذلة، والفاقدة للمعنى، وأسلوبه في التعامل معها قد أبهر كثيراً من الأثرياء، وأصحاب رؤوس الأموال البارزين حديثاً، فالفنان يعد من المفضلين لدى التاجر الأمريكي المشهور "بارنارد مادوف"، وتجربته التشكيلية تحوم حول العديد من الشخصيات والنجوم الأمريكية والعالمية بوصفهم مراجع بصرية، مثل "بوباي"، "هولك"، "مايكل جاكسون"، وتبرز في أغلب أعماله خصوصية القيمة الجمالية الفنية. ووفق أسلوبه الجديد يلقبه الكثير من المنظرين في مجال الفن التشكيلي بـ"البوب الجديد". إن الفنان "جاف كونز" يستعمل العديد من التقنيات الفنية: فن التجهيز في الفضاء، الفوتوغرافيا والرسم، والنحت، ويعتمد في ذلك الكثير من الخامات (الأخشاب، الرخام، الزجاج، الإينوكس)، بالإضافة لاستعماله البرمجيات الرقمية، زيادة عن تقنيات التصوير التي يعتمدها و يحولها على قماش ذي مقاسات كبيرة ينجزها مساعدوه من تقنيين، وفنيين. والفنان يؤكد أنه يحاول في كل مرة إنتاج أعمال فنية، تكون في علاقة مع أكبر عدد من المتلقين وهدفه في ذلك أن يعمل على أشياء يكون فيها كل المتلقين قد أقاموا علاقات حميمية معها. قد تبدو لك أعمال الفنان "كونز" بسيطة للوهلة الأولى، إلا أن وراءها جهداً كبيراً وتقنية عالية، وحساً مرهفاً، وخير مثال على ذلك "كرة الكلب"، وهي تصنف ضمن الأعمال النحتية، التي قضى مدة عمل طويلة زمنياً عليها، وحتى طريقة إخراجها قد تجاوزت أكثر من ثلاث سنوات. فقد تحدث آلان إميل شارتييه (شارتييه، ٢٠١٥: ٥١-٥٢)، -وهو ناقد فني فرنسي- عن العمل الفني، وذلك في باب "حول المخيلة الإبداعية" من كتابه منظومة الفنون الجميلة، ترجمة سلمان حرفوش، فأكد أن: "الأعمال الفنية جمعاء، الخفيفة أو القوية، تلك السمة المتجلية في كونها مواضيع في أرفع مقام، أعني أنها راسخة بقوة، كما لو أنها ضرورية، دون أدنى التباس في المظهر، دون أي تغيير قيد التصور، فهي، والحال هذه، أعمال تؤكد نفسها بنفسها. وهذا الأمر على درجة كافية من الوضوح عندما نتناول الأعمال التي هي من نطاق الأشياء."

أ- أعمال "جاف كونز" الفنية:

إن الممارسة الفنية لجاف كونز هي عبارة عن عمل تأليفي، ونقطة التقاء بين العديد من المفاهيم مثل: "الجاهز" "Ready-made" لمارسيل ديشومب، وأشكال "كلايس أولدومبرغ" التي أخرجها من واقعها العادي ليدخلها إلى العالم الفني بأسلوبه المفاهيمي والتشكيلي، بالإضافة إلى تأثره بأشكال "أرمان" التي تميزت بأبعادها الإنسانية و كذا تأثره بفن البوب لـ"آندي وارول"، والفنون الحرفية، والخيال الشعبي الأمريكي. فعمله الفني"Inflatable Rabbit" الذي هو عبارة عن أرنب كبير من مادة (الأتينوكس)، قام بإنتاجه في سنة ١٩٨٦ وأيضاً "Balloon Dogs" وهو عبارة عن كلب من الزهور، ولهذين

صورة (١): الأرنب، "جاف كونز" ، مادة الإتينوكس، ٩٠ ★ ٤٠ ★٤٥ سم، ١٩٨٦.

العملين الفنيين قيمة كبيرة جداً عند أكبر جامعي الآثار الفنية في العالم، مثل "فرانسوا بينو". وتعد مثل هذه الأعمال الفنية من أبرز الأعمال الفنية في نهاية القرن العشرين.

لقد أكد الكاتب نبيل مسعد (مسعد، ٢٠٠٤: ١٢-١٣) أن: "جاف كونز" -مع اختياره الأحجام الضخمة- عبر "بابي" (١٩٩٢) و"سبليت روكر" (٢٠٠٠)، كأنه يتواجه مع الفضاء العام.، وفي سلسلة "احتفال" (١٩٩٤)، يذهب إلى أبعد حدود في الارتقاء بأشياء فظة إلى مصافي الأشكال الهندسية المُنجَزة، والبرّاقة، والمنتفخة. ومن سلسلة "سهْل المرَح" (١٩٩٩ ـ ٢٠٠٣) إلى سلسلة "قطع أثرية" (٢٠٠٩ ـ ٢٠١٤)، يستعين "كونز" بتقنية الكولّاج ليجمع، على سطحٍ واحد عناصر متباينة، يعمد إلى تجزئتها وتنضيدها. وأكثر من أي وقت مضى، ينقضّ على التصوّرات والتصرفات المقولبة الأميركية، كالإفراط في تناول مأكولات صناعية. فالأبطال الخارقون وشخصيات الشرائط المصوّرة الأخرى؛ عناصر يخلطها الفنان بمراجع شخصية تتراوح بين رسوم غرافيتية طفولية، وصور لقطع فنية أثرية، كما في سلسلة غايزينغ بولز (٢٠١٣) التي تتجاور فيها كرات زخرفية مرصودة لحدائق، وقوالب حجَية لتحف من الفن الكلاسيكي. وتعد أعمال "جاف كونز" من أغلى المقتنيات التي تباع في المزادات. فهو يستعمل العديد من المواد في أعماله الفنية، كالبالون، وغيرها. وقد استدعته شركة BMW ليبتكر شكل سيارة جديد لها في سنة ٢٠١٠، وقام الفنان الأمريكي بتزويق سيارة M3 التابعة لشركة BMW الألمانية و تلوينها، وأنجز ذلك للمشاركة بها في الصالون ١٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للسيارات الفنية، وهي من أصناف GT2. هذا التلوين والتزويق الخاص قام به ضمن طباعة رقمية على شريط شفاف، وفق مقاسين رقيقين، وتم عرض هذا العمل الفني في مركز الفن الحديث "جورج بومبيدو" في باريس، في ١ يونيو سنة ٢٠١١. ومن أشهر أعماله "كرة الزهور" (Balloon flower) التي بيعت بقيمة ١٦,٣٤٣ ألف دولار. ومن الأعمال التي قام بها في العشرية الأخيرة، المنحوتة Split Rocker التي أنجزها بتركيب تشكيلي وقع تأليفه بأكثر من مائة ألف زهرة، وتنقسم إلى جزءين: الأول يتكون من "دينو" والجزء الثاني من "بوني"، وهي من مقتنيات فرانسوا بينو سنة ٢٠١١.

من أعماله أيضاً نذكر نصب الأرت بوب الذي تم عرضه في ١١ نوفمبر ٢٠١٣ في الآرت ريف، وهو الألبوم الرابع للفنانة لايدي جاجا Lady Gaga. وقد أكد "أنطوان جوكي": أن مختلف أعماله: "هشّة وساخرة إلى حد كبير، لن تلبث إنجازات "كونز" الأولى أن تتوارى أمام تركيبات بحث الفنان فيها عن حصيلة بين البوب آرت والمينيمالية، كما في سلسلة "الجديد"؛ قبل أن يتوجّه نحو صورية ثقافة الجماهير الحاملة للحلم الأميركي واستيهاماته، كما في سلسلة "ترف وانحطاط" (١٩٨٦) التي تستنسخ الاستراتيجيات الدعائية للماركات الكبيرة، أو في سلسلة "تفاهة" (١٩٨٨) التي تسلّط الضوء على الصورية الشعبية، مازجة الأحلام الطفولية بالإيحاءات الإيروسية لصور مختلفة من تاريخ الفن. وفي تلك الفترة، حقق "كونز" -بسخرية لافتة- منتوجات صناعية "تمجّد" ذوق الطبقة الأميركية المتوسطة، مؤدّياً بذلك دور الناطق الهازئ باسمها. أما سلسلة "صنع في الجنة" (١٩٨٩-١٩٩١) فتبلبل، بانقلابيتها وفضاحتيها، الحدود بين الفنان وشخصياته، من خلال عمليات إخراج إباحية تمنحه وتمنح موحياته مادةً لتمثيلات مختلفة ومعبّرة لرغبات الأميركيين. وفي هذه الأعمال، يعرّي "كونز" "مجتمعه الذي يختلط فيه الحلم والوهم، المُثُل الجماعية والعنف، بطريقة ملتبسة." جداً.

ب- القيمة المادية وأثمان أعمال "جاف كونز" الفنية

اعتلت أعمال "جاف كونز" المراتب الأولى في بضعة أشهر في مزاد مبيعات أعمال الفنانين الأحياء، منذ فترة طويلة، فعمله الفني "كرة الزهور ماجنتا" (Ballon Flower) قد وقع اقتناؤه بـ ٦٣٤٣٠٠٠ يورو من قبل "كريستيس" (Christie's) في لندن بتاريخ ٣٠ يناير ٢٠٠٨م، وبعد ذلك تجاوزه في المرتبة الأولى لوسيان فرويد. أما عمله "بوبي"، فقد اقتني بقيمة ٢٩٧٦٥٠٠٠ يورو، وفق خبر أعلنته صحيفة "باريس ماتش".

يصنف "جاف كونز" في المرتبة ٥٤ ضمن مبيعات المزاد العالمية سنة ٢٠٠٨. وفي ما يخص الأسعار الباهضة لأعماله الفنية، فإن "جيرام كلايمون" يؤكد أنها: "تعكس منظومة مرتبطة بتجار للأعمال الفنية وجامعيها، وهم متنفذون في سوق الفن، وخاصة "قاقوزيان" و"بينو"، وهما اللذان لهما الكفاية والقدرة على الحسم اليوم في ماهية الفن وفي ما هو جميل. وباختصار فإن اليوم قوة المال قد تغلبت على الجمال، ورغم ذلك فإن "كونز" "لا يعد نفسه

صورة (٢): سيارة M3 التابعة لشركة BMW الألمانية في الصالون ١٧ للسيارات الفنية ،وهي من أصناف GT2

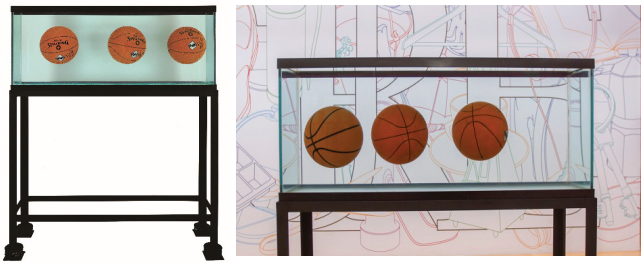

صورة (٣) ورقم (٤): ثلاث كرات للعبة كرة السلة في توازن كلي، "جاف كونز"، ١٩٨٥: استعان بعالم الفيزياء الدكتور "فايمان" المتحصل على جائزة نوبل للفيزياء.

صورة (٥): مجموعة أعمال فنية للمعرض الاستعادي بمركز الفن الحديث بجورج بومبيدو بباريس في ٢٦ نوفمبر ٢٠١٤ / ٢٧ أبريل ٢٠١٥.

رجل أعمال متميزاً، وحسب رأيه، فإنه من الأفضل أن يكون فناناً جيداً". وفي سنة ٢٠١٤ صنفت مجلة "آرت ريفو" الفنان الأمريكي "جاف كونز" ضمن الفنانين العشرة المعاصرين الأوائل عالمياً (Rowa 100).

يعد الفنان "جاف كونز" إذن من أشهر الفنانين المعاصرين، و تعد أعماله من أغنى المقتنيات التي تباع في أسواق المزاد العالمي، ولقد تم تصنيف أعماله ضمن أشهر الأعمال الفنية التي تؤثر في ثقافة العمل الفني و نظامه و أسلوبه اليوم. يضاف إلى ذلك أن أعماله تبرز تداخلاً كبيراً بين العديد من الفنون والتقنيات الفنية والميادين،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بحكم تعامله مع خامات ومجالات عدة. كتب "نبيل مسعد" (مسعد، ٢٠٠٤: ١٢-١٣) في مقاله عن القيمة المالية لأعمال "كونز" عيوب المجتمع الغربي كما رآها الأميركي "جاف كونز"، إذ "حطّمت أعمال "جاف كونز" في عام ٢٠٠٧ كل الأرقام القياسية بالنسبة إلى الفنانين المعاصرين. فقد بيعت مثلاً قطعة "القلب الأرجواني المعلّق" التي كان يبلغ طولها ٢,٦ متر بما قيمته ٢٣,٦ مليون دولار. وفي عام ٢٠٠٨، بيعت قطعة "البالون الأرجواني المزهر" في لندن بقيمة ١٢,٤ مليون فرنك سويسري. في عام ٢٠٠٩، و خلال فترة الركود، تراجعت مبيعات "كونز" بنسبة ٥٠٪. وفي نوفمبر ٢٠١٠ تم تسعير "البالون الأرجواني المزهر" من قبل دار كريستيز للمزادات بـ١٦,٨ مليون دولار. وفي مايو ٢٠١١، بيعت قطعة Pink Panther من قبل مزادات سوثبيزبـ ١٦,٩ مليون، أي دون السعر المتوقّع بقليل. في يونيو ٢٠١٢، سيتم بيع قطعة Baroque Egg التي يتوقّع أن يتراوح ثمنها بين ٢,٥ – ٣,٥ مليون دولار."

ج- ثراء الممارسة الفنية ودور تنوع التقنيات والخامات في الإسهام في إبراز معنى المعاصر

أكد برنارد بليستان أنه قد استدعى "جاف كونز" ليعرض أعماله الفنية في معرض جماعي سنة ١٩٨٧ بمتحف الفن الحديث: مركز جورج بومبيدو بباريس، وكان عمره حينها اثنتين وثلاثين سنة، وقد نظم التظاهرة "والتر هوبز" مدير مجموعة "المنيل" بعد سنتين بالشراكة مع مركز "جورج بومبيدو"، تحت عنوان "سفراء العش" ليعود بعد ذلك سنة ٢٠١٤ تحت إشراف "سكوت رونكويف" في معرض استعادي وموسوعي خاص بأعماله وقد ناهز ٥٨ عاماً، وهو من أشهر الفنانين المعاصرين، وتحوم حوله أغلب الكتابات والدراسات النقدية. ولعلنا نتساءل: أكان العمل الفني هو موضوع القراءة والنقد والتذوق؟ أم هو الحكم على الفنان الأسطورة الذي أصبح من أهم الشخصيات اليوم؟

إن معرضه الاستعادي الموسوعي الذي أقامه في باريس في نهاية عام ٢٠١٤ بمتحف الفن الحديث: مركز جورج بومبيدو، هدفه كان عرضاً لمسيرة طريفة، مهمة، حافلة بالتجارب الفنية الكبيرة وانعكاساً لشخصية "جاف كونز" الفنان، إذ إن مشروع "جاف كونز" الفني ليس إلا نقلاً وثائقياً، وتأريخاً ذاتياً وحلماً أمريكياً. إن أثره الفني براغماتي وإيجابي بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى أنه تحد سعيد في عالم الرفيع والدنيء، والأكيد أنه يعكس نظرة هزلية لا تبدو هينة للقراءة منذ الوهلة الأولى، لكنها تحمل قراءات أعمق من ذلك تماماً. إذ توجد العديد من أعمال "جاف كونز" الفنية معروضة في المؤسسات الحكومية والخاصة، وهي متنوعة تذكرنا بألعاب الأطفال، وبتعدد خاماتها، مثل الإينوكس واليوليكروم. يضاف إلى ذلك أن عديد الصور الإشهارية قد حولها الفنان إلى لوحات فنية، لتصبح فيما بعد هدايا لشركات تجارية، وبعد ذلك من أهم المقتنيات الفنية. إن أعمال هذا الفنان كبيرة جداً في مقاساتها، فهي ذات مواضيع متنوعة، وهي في جدال متواصل مع التذوق الفني وكيفية الحكم على قيمة العمل الفني.

في الفنون المعاصرة أو اتجاهات ما بعد الحداثة، أصبحت العملية الفنية تتجاوز ثلاثية الفنان، والعمل الفني والجمهور. وثمة عالم آخر أكثر واقعية، ونفوذاً، وغموضاً، غدا يمتلك الدور في إسباغ المزيد من الشرعية، والأهمية، والتميّز، على العمل الفني وتعزيز معانيه في عالم الفن، إذ يذهب بعض الناقدين للقول عن العالم الفني إنه يمتلك جانباً علمياً وأكاديمياً غير مادي، ونجد فيه مجموعة هامة من الخبراء والإداريين والمؤسسات يرسمون صورة أخرى مجددة للفن تسهم فيها المؤسسات الفنية، من مثل متاحف الفن، و قاعات العرض، ومزاد الأعمال الفنية، ومديري المعارض، و نقاد الفن، وخبراء العلاقات العامة، و الوسطاء، و المقتنين. كل هذه الأطراف هي عبارة عن اختصاصات ضمن منظومات فرعية في عالم الفن الراهن، تقيم طبيعة بناء القيم الفنية في المجتمعات المعاصرة، وتشارك في تثمين النتاج الفني، وتقدير العملية الفنية. ورغم كل ذلك لم تأخذ النظريات الجمالية والنقدية التقليدية المعنية في الفن هذه القطاعات بالجديّة المطلوبة.

لقد كرست العديد من القراءات الأخرى في مجال الفن التشكيلي حضورها ما بعد العقد الرابع من القرن الماضي، وجاءت على شكل دراسات وبحوث معنية بالفن، وعرفت ولادة علوم جديدة، مثل الإنشائية التي أسسها بول فاليري، متوافقة مع طبيعة التحولات، غير المسبوقة والصادمة التي لحقت بآلية الحراك الهائل في الفن المعاصر. مثل هذه الدراسات لم تكن من صميم أطروحات النظرية الجمالية التقليدية، لكنها تغذّت من أفكارها ومفاهيمها. كما استعانت باختصاصات نظرية أخرى في العلوم الإنسانية، حتى تحوّلت إلى أن تندرج بصفتها فرعاً علمياً نتلمس حدوده ضمن مجال معرفي شديد الدقة. ذلك ما سمّي بعلم اجتماع الفن ، وهو أحد الفروع، أو العلوم المعاصرة، الذي تجري دراسته عبر الاستفادة من تخصصات وعلوم أخرى، مثل السيسيولوجيا، والتاريخ، والأنثروبولوجيا، والاقتصاد، وعلم الجمال، والنقد الفني. ولقد استطاع هذا الفرع العلمي، الحديث نسبياً، أن يفرض أهميته ووظيفته، من خلال دراسات بحثية ذات طابع نظري وإجرائي. إن اختصاصاً كهذا يقترح من خلال أطروحاته ذات المنهج التجريبي، التي تعتمد الجانب الإحصائي، ومهارات البحث الميداني، واستعمال المقابلات والمشاهدات العيانية، التأثير في سلّم القيم للمنتج الفني وتوجيه السياسات الثقافية الخاصة بالعملية الفنية، عدا تأكيده أسئلة حارقة وذات صلة بين الفن والمجتمع، وفق طبيعة تفكير ينظر من خلالها إلى الفن بوصفه حقلاً اجتماعياً. وكأننا بالفن المعاصر يؤسس لثقافة بصرية جديدة، ثقافة "المعاصر" الذي يرتكز على عمود فقري واضح، وهو التواشج، والتداخل بين مختلف التقنيات، والخامات، والأفكار، والمحامل، والفضاءات والعلوم، إنه مهرجان الفكر المعاصر يحتفل بالفن في تلاقيه مع الثقافة وغيرها.

خاتمة

وأخيراً يمكن القول إن تجربة "جاف كونز" التشكيلية قد أسهمت في التأسيس لقاعدة تشكيلية منفتحة، لا تخضع لأي قانون، وكأنه بذلك قد رفض دعوة الفن الكلاسيكية التي مؤداها أن يكون الفن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إدراكاً للعالم، يجعل من الفرد مغترباً عن وجوده الوظيفي، وحتى عن دوره الاجتماعي، فالفنان المعاصر قد تجاوزت مهمته انعتاق الحس والخيال، والعقل في مجالات الذاتية والموضوعية. أما عن الصياغة التشكيلية والجمالية للعمل الفني المعاصر فتتم وفق دمج ذكي مع تقنية جديدة، تدعو فكرة العمل فيها إلى حوار أصيل مع العديد من التجارب، والمجالات والعلوم. فالعمل الفني المعاصر لم يعد يتعذر فهمه بعبارات النظريات الاجتماعية، والفلسفية، والعلمية الصرفة. وخلص البحث إلى أن هناك أربعة جوانب مهمة للدور الذي يمكن أن تؤديه هذه العلاقة المتميزة، وهي:

١- دمج المعرفة: وتعني ربط النظريات الفكرية، وتكاملها فنياً، وتقنياً، وجمالياً، للوصول إلى إنتاج أعمال معاصرة ذات تعبير إبداعي، مبني على التداخل مع أهم المحطات التاريخية، والتطور التقني، والتكنلوجي.

٢- الفعل التشكيلي: ونعني به تطوير القدرة الإبداعية على عرض الفكرة تقنياً، وتعميق رؤية الفنان التشكيلي نحو المجتمع الذي يعيش فيه.

٣- تحقيق التكامل: ونعني به إدراك الاختلافات بين التخصصات والمجالات والتقنيات المختلفة و مواجهتها بهدف الوصول إلى وحدة العمل الفني المتكامل.

٤- إنتاج المعرفة الفنية التي ترى أن الفن المعاصر يؤسس لخطاب تشكيلي تبرز من خلاله الحاجة إلى إجراء الدراسات النقدية التي أصبحت الآن تعتمد النظر في جعل هذا الفن على محك العلوم الاجتماعية والعلوم الأخرى.

الهوامش

- ويليام كالين، هو أستاذ ابحاث الدراسات العليا في جامعة فلوريدا منذ عام ١٩٨٨، ومن عام ١٩٩٨ إلى عام ٢٠٠١، أستاذ بحوث مؤسسة فلوريدا، وقد قام بالتدريس في جامعة دارتموث، وجامعة ستانفورد، وجامعة أوريجون: عمل مرتين، أستاذاً زائراً في جامعة بواتيير: وكان قد شغل منصب نائب رئيس الرابطة الدولية للدراسات Occitanes لمدة تسع سنوات.

المراجع

بن عبدالمنعم أمين، عمار، (٢٠٠٦)، الدراسات البينية Interdisciplinary Studies رؤية لتطوير التعليم الجامعي، مطبعة ونشر جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية.

إينيتش، ناتالي ، (٢٠٠٧)، علم الاجتماع على محك الفن :ترجمة لعنوان كتابها باللغة الفرنسية، أنترتيان، باريس، فرنسا.
Nathalie Heinich, Julien Ténédos , La sociologie à l'épreuve de l'art. Première partie, Aux Lieux d'être, coll. " Entretiens" , 2007.

غوتيي، غيي، (٢٠١٢)، "الصورة: المكونات والتأويل"، ترجمه إلى العربية وقدمه سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي للنشر، الدار البيضاء، المغرب.

مسعد، نبيل، (٢٠١٤)، عيوب المجتمع الغربي كما رآها الأميركي جيف كونز / باريس - / الحياة / ١٨ ديسمبر ٢٠١٤.

جوكي، أنطوان، (٢٠١٥)، جِف كونز: مجمِّع تفاهات أميركا باريس، ٥ فبراير ٢٠١٥. انظر الرابط: http://www.alaraby.co.uk/5/2/culture/2015

فوستر، سيقفريد، (٢٠١٤)، جاف كونز في مركز بومبيدو، مدح للثقافة الجماهيرية، حوار في ٢ ديسمبر ٢٠١٤ على إذاعة فرنسا الدولية، باريس. انظر الرابط: http://www.rfi.fr/culture/20141202-jeff-koons-centre-pompidou-eloge-culture-masse-bernard-blistene-interview

شارتييه، آلان إميل، (٢٠١٥)، منظومة الفنون الجميلة، ترجمة سلمان حرفوش، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com